

# أَحْبَبُ الْأَخْلَاقِ

عَقِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقْطَرِيِّ

طَارَ أَبْنُ حَذْرَمَ

جَمِيع الْحُكُمَوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤١٤ - ١٩٩٣ م

دَارِ ابن حَزْم

لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرَ وَالتَّوزِيعِ بِيرُوتَ - ص. ب: ٦٣٦٦ / ٦٦٦٦

أوبي الأخبار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقَدَّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ  
وَنَسْتَهْدِيهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ  
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا  
هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَ�لِهِ وَلَا  
يَمْوِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَجَدَنِهِ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلَ لَوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ  
رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا  
كَوْلًا ﴾ .

سَدِيرًا يُصلحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ  
يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝

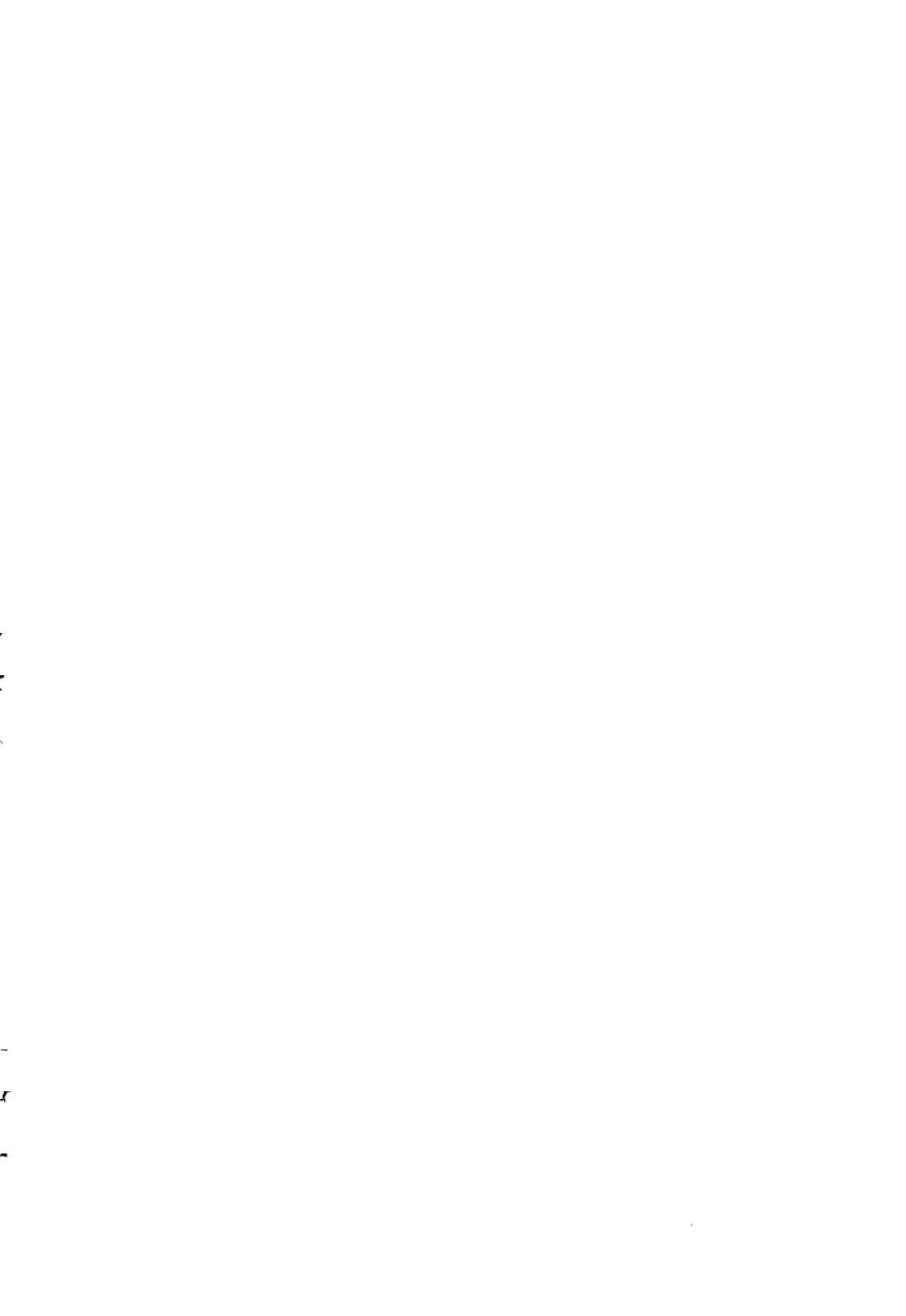
أما بعد:

فقد كثرت أمراض الأمة المسلمة في هذه الأزمان المتأخرة، وتشعبت حتى شملت الجوانب الدينية. ومع كثرة هذه الأمراض، فإن هذه الأمة لا يزال فيها جوانب كثيرة من الخير. وهذا كله بفضل الله عز وجل أولاً، ثم بوجود كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ودعاء واستغفار كثير من الصالحين: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝**. ومن الأمراض الخطيرة التي أصبت بها هذه الأمة في هذه الأزمان خاصة مرض (الاختلاف) الذي شمل نواحي كثيرة ومنها العقائد والمناهج والسلوك والأخلاق... إلخ.

—————  
والناظر إلى شرع الله تعالى يجد أنه ما اهتم بشيء بعد توحيد الله مثل ما اهتم بجمع الكلمة ولم

الشمل. إن الإسلام دين واقعي يتعامل مع الإنسان على ما هو عليه، والله تعالى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾** فقد وهب سبحانه لعباده عقولاً متباعدة، من شأنها أن تؤدي إلى الاختلاف في التفكير واتخاذ المواقف في كثير من الأمور. ولذلك فإن الإسلام يتسع لتلك الاختلافات كلها طالما هي لا تهدد وحدة الأمة<sup>①</sup> فيكفي أن تتفق الأراء والتصورات في القضايا الكبرى والقواعد الأساسية. أما الأمور الفرعية التي يساعد اختلاف الرأي فيها على الجنوح نحو الأفضل والأمثل فلا ضير فيه، على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابطه وقواعد وآدابه.<sup>٠</sup> وفي هذا البحث ستعرض لذكر حقيقة الاختلاف والنهي عنه وآدابه إلى غير ذلك من المباحث التي سترتها في هذا البحث. أسأل الله عز وجل أن ينفع به، إنه على كل شيء قادر وبالإجابة جدير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أبو عبد الرحمن/ عقيل المقطري



## أدب الاختلاف

تعريفه:

هو (منازعة تجري من المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل) <sup>(١)</sup>.

(أنواع الاختلاف):

ينقسم الاختلاف إلى ثلاثة أقسام:  
أ — اختلاف تضاد.

ب — اختلاف تنوع.  
ج — اختلاف أفهم.

أ — أما اختلاف التضاد:

فهو أن يكون كل فريق مصيبةً فيما يثبته أو في

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص ١٠١).

بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر. وهذا النوع من أنواع الاختلاف محرم وأغلب الاختلاف المحاصل الآن بين الجماعات الإسلامية من هذا النوع، فتارة تُندِمُ الطائفتان كما في قوله تعالى :

﴿وَلَا يَنْزَلُ الْوَنَّ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ١١٨ ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَّبُّكَ﴾،

يجعل أهل الرحمة مُشتتين من الاختلاف. وكذلك

قوله : ﴿ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ وقوله :

﴿وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَأَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَاجَأَهُمُ الْبَيْنَتُ﴾ .

وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف أن الأمة : سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً قال : «كُلُّها في النار إِلَّا وَاحِدَةٌ - وَهِيَ الْجَمَائِعُ» وفي رواية أخرى : «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ

وأصحابي» فيَّنَ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

وتارة تذم طائفه دون الأخرى، كما إذا كان الاختلاف اختلاف تنوع، لكن إحدى الطائفتين تدعى أنها على حق والأخرى على باطل، والطائفه الثانية تقول بل كلانا على حق ففي هذه الحالة تذم الطائفه الأولى دون الأخرى.

## ب - اختلاف النوع :

واختلاف النوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاختلاف وقال: «كِلَّا كُمَا مُحْسِنٌ»، ومثله اختلاف

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٥ - ٣٧).

الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وصلة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما شرع جميعه؛ وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل. فإذا جحد أحد الفريقين ما عند الآخر انتقل من التنوع الجائز إلى التضاد المحرم<sup>(١)</sup>.

وأما إذا لم ينكر أحد الفريقين على الآخر فقد دل الفرقان على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل هذا، قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فِي أَذْنِ اللَّهِ﴾.

### ج - اختلاف أفهم:

وهو أن يفهم كل فرد أو طائفة الخطاب بفهم، بشرط أن يكون النص محتملاً لذلك الفهم، وله أمثلة منها:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٨).

١ - أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للصحابة: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُصْلِيْنَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةٍ». فمنهم من فهم أنه إنما أراد منهم الإسراع فصلوا العصر في الطريق، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة. فأقرّهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جميعاً ولم يعنف أحد الفريقين.

٢ - قول الله عز وجل: ﴿وَدَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُانِ فِي الْحَرَثِ إِذْ نَفَّثْتُ فِيهِ غَنْمَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِلْحُكْمِ هُمْ شَهِيدِينَ ﴾<sup>٧٦</sup> فَهُمْ مِنْهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاً أَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. فخصص الله سليمان بالفهم وأثنى عليهما جميعاً بالعلم والحكم.

تنبيه: هناك نوع آخر من الاختلاف ذكره الله في كتابه الكريم، وهو ما يمدح فيه إحدى الطائفتين وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما في قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ  
 اللَّهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتٍ وَّا تَبَيَّنَ أَعْسَى أَبْنَ مَرِيمَ  
 الْبَيْنَتِ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ مَا  
 أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ  
 الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 كَفَرَ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا ﴾ فَقُولَهُ: ﴿ وَلَكِنْ  
 أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ حَمْدٌ  
 لِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَذُمُّ لِلْأُخْرَى<sup>(١)</sup>.  
 وَهُنَّاكَ مَا يُسَمِّي بِالْخَتْلَافِ التَّنْزِيلِ وَالْخَتْلَافِ التَّأْوِيلِ،  
 فَالْخَتْلَافُ التَّنْزِيلِ مَثُلُّ لِهِ أَبْنَ تِيمِيَةَ رَحْمَةَ اللَّهِ بِحَدِيثِ  
 أَبْنِ مُسْعُودٍ قَالَ: (سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا فَأَخَذْتُ  
 يَدِهِ فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
 وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَعَرَفَتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٩ - ٤٠).

فقال: «كِلَّا كُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهُنَّ كُوَا»<sup>(١)</sup>. وأما اختلاف التأويل فهو الاختلاف في تأويل القرآن أو السنة، ومثال ذلك (القرء) منهم من فسره بالطهير ومنهم من فسره بالحَيْضِ.

---

(١) رواه مسلم.

## التحذير من الاختلاف

لقد حذرنا الله من الاختلاف والتفرق في كتابه الكريم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

وكذلك حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على آل

وسلم من الاختلاف، وإليك بعضاً من أحاديثه  
صلوات الله وسلامه عليه في ذلك:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده  
(عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهم: أن  
نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وعلى آله  
وسلم فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال  
بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع رسول الله  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فخرج كأنما فُقِيَءَ  
في وجهه حُبُّ الرمان فقال: «أَبِهَنْدَا أَمْرُتُمْ؟ أَوْ بِهَنْدَا  
بُعْثَمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِعَضَهُ بِعَضٍ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ  
الْأَمْمُ قَبْلَكُمْ بِمِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ هَا هُنَا فِي  
شَيْءٍ. انْظُرُوا إِلَيْيَ أَمْرُكُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَإِلَيْ  
نَهِيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن.

٢ - قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»<sup>(١)</sup>.

٣ - حديث أبي هريرة: «... ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةً مَسَائِلِهِمْ وَأَخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

٤ - حديث ابن مسعود وفيه: «... لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهُلَّكُوا»<sup>(٣)</sup>.

٥ - «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا»<sup>(٤)</sup>.

### أسباب الاختلاف:

إن أسباب الاختلاف كثيرة جداً، قد أفت فيها مؤلفات، خاصة منها (الإنصاف في أسباب

---

(١) رواه أحمد وأبو داود انظر صحيح الجامع (٧١٣٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم وقد تقدم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

الاختلاف) وسأذكر هنا بعض الأسباب:

## ١ - عدم وصول الدليل:

وهذا وُجِدَ حتى في زمن الصحابة، فإن منهم من كان يشهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنهم من يغيب عنه، وقد تفاوت أخذهم للأدلة فمستقل ومستكثر. ومثال ذلك ما رواه البخاري عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: نشهد على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم.

وكان أبو هريرة يفتئي بغير ذلك ثم رجع عن هذا لما بلغه الحديث المتقدم.

وقد ورد عن الأئمة الأربع الشيء الكثير من هذا.

## ٢ – نسيان الدليل بعد وصوله:

أحياناً قد يصل الدليل إلى العالم لكنه ينساه فيفيتي بخلافه. والنسيان صفة من صفات المخلوقين حتى الأنبياء عليهم السلام. ويحصل في القرآن والسنة.

ولهذا كان نبي الله صلوات الله وسلامه عليه كثيراً ما يشني على أبي بن كعب ويقول: «كُمْ مِنْ آيَةٍ ذَكَرْنِيهَا كُنْتُ قَدْ أُنْسِيَتُهَا». وكان يقول في غير أبي: «رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا ذَكَرَنِي آيَةً كَذَا كُنْتُ أُنْسِيَتُهَا». وهذا النسيان يكون في وقت ثم يتذكر أو يُذكر. ومثال ذلك من السنة ما ثبت أن حذيفة كان يصلي بالناس على دكان فكان معه أبو مسعود الثقفي فجذبه فقال: ألم نكن تُنهى عن ذلك؟ فقال حذيفة: بلى ألم تر أني طاوعتك حين جذبته؟ - يشير إلى أنه كان نسي.

### ٣ - عدم ثبوت الدليل:

وهذا السبب من أعظم أسباب الاختلاف، إذ قد يصح الإمام أو العالم حديثاً ويضعفه غيره.

والذي ينظر في كتب العلماء المتقدمين يرى كثيراً من ذلك. وأحياناً يصحح ذلك العالم الحديث ويفتني بموجبه ثم يتبيّن له بعد حين أن الحديث ضعيف فيتراجع عن قوله الأول والعكس.

ومن أمثلة هذا التراجع أن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله كان يقول بعموم حديث عبدالله بن عكيم: (لَا تَتَنَفَّعُوا مِنَ الْمِيَةَ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ) وكان يرى أنه لا ينتفع من الميّة بشيء لا قبل الدبغ ولا بعده. فلما رأى اضطراب الرواية في حديث عبدالله بن عكيم تراجع<sup>(١)</sup> وذهب إلى حديث ابن عباس. وهناك مسائل كثيرة مثل هذا.

---

(١) الحق إن شاء الله أن حديث عبدالله بن عكيم ليس

٤ - قد يثبت الدليل ولكن يرى العالم أنه لا يدل على المقصود:

مثال ذلك من القرآن لفظة (القرء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمَطَّلَقَتُ يَتَبَصَّرُ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةٌ قُرُونٌ﴾ فمن أهل العلم من قال: القرء هو الطهر. وقال آخرون: بل هو الحيض.

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُصَلِّيَ عَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيْظَةَ» فمن الصحابة من رأى أنه لم يقصد أنهم لا يصلون في الطريق إذا حانت الصلاة، فصلوا ثم تابعوا السير، والفريق الآخر أخذ بظاهر الحديث (النص) فواصل السير ولم يصل إلّا في بني قريظة. فأقرهم النبي عليه الصلاة والسلام ولم يعنف أحداً.

---

= بمضطرب كما حققناه في رسالة للشوكياني بهذا الخصوص فالحديث عام مخصوص بحديث ابن عباس.

٥ — قد يثبت الدليل عند العالم إلا أنه يثبت لديه ما يعارضه ويكون أقوى من الأول فيميل إليه:

ومثاله: حديث: «إِنَّمَا هُوَ بَصْرَةُ مِنْكَ» فمن أهل العلم من ترك العمل به نظراً لثبوت حديث: «مَنْ مَسَ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» وهذا الحديث أقوى من الأول وأحوط.

## ٦ — التعصب:

كما يحصل عند أتباع المذاهب والجماعات والمشائخ ... إلخ. هذا وقد أرجع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أسباب الاختلاف<sup>(١)</sup> إلى سببين، وهما: الجهل والظلم. وهذا اختلاف مذموم من الطرفين يكون سببه: تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض

---

(١) وهو اختلاف التضاد.

بالفساد ونحو ذلك، فيحب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبه ليتميز عليه، أو يُحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صدقة ونحو ذلك لما في قيام قوله من وصول الشرف والرئاسة له. وما أكثر هذا في بني آدم، وهذا ظلم، ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلأً.

والجهل والظلم: هما أصل كل شرٌّ كما قال سبحانه: **﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾**<sup>(١)</sup>.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧).

## أدب الاختلاف في عصر النبوة

إن تفاوت الأفهام أمر لا بد منه نظراً لتفاوت القدرات العقلية التي وهبها الله للناس، ولذلك لا بد من حصول الاختلاف. إلا أنه من الواجب عند حصوله أن يُضبط بالضوابط الشرعية. لذلك نجد أنه رغم حصول الاختلاف بين الصحابة إلا أنهم كانوا يردون ذلك الاختلاف إلى الله والرسول فيجدون الحل لذلك الاختلاف، ولم ينشأ عنه أحقاد أو عصبيات. وسأذكر هنا نبذة من آداب الاختلاف في عصر النبوة:

- ١ - التقوى وطلب الحق وتجنب الهوى عند الاختلاف.
- ٢ - رد المسائل المختلف فيها إلى الله والرسول.

### ٣ - التسليم لحكم الله ورسوله بعد الرجوع إليه.

٤ - إذا أقر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المختلفين كلاً على ما فهم أو عمل يفرحون بذلك ولم يحمل أحدهما الحقد على الآخر نظراً لحصول المخالفة. كما حصل للرجلين الذين حانت عليهما الصلاة ولم يستطيعا تحديد جهة القبلة فصليا على اجتهادهما ثم تبين أنهما صليا إلى غير القبلة فاما أحدهما فاكتفى بصلاته الأولى وأما الآخر فأعاد الصلاة، فلما سألا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للأول: «أَصْبَتَ السُّنَّةَ» وقال للثاني: «لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

فلم يحصل بين المختلفين شفاق ولا عداء.

### ٥ - الالتزام بأدب الجوار، ولين الكلام، عند

---

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن.

النقاش ، وإصغاء كل من المختلفين للأخر ، ويبحث  
القضية من جميع الجوانب ، والغرض من ذلك هو  
إظهار الحق على لسان أي الفريقين مع تجنبهم  
للمراء .

## أدب الاختلاف في زمن الصحابة

بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وعلی آلہ وسلم إلى الرفيق الأعلى وتفرق الصحابة في الأمصار توسيع دائرۃ الاختلاف أكثر مما كانت عليه في زمنه عليه الصلاة والسلام.

ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا ضابطين لذلك الخلاف بالضوابط العلمية. فمن الأمور التي حصل فيها الاختلاف:

### ١ - وفاته عليه الصلاة والسلام:

وهذا أول اختلاف حدث بعد موته صلوات الله وسلامه عليه، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر موته عليه الصلاة والسلام واعتبر القول بوفاته إرجافاً من المنافقين، ولكن أبا بكر الصديق رضي الله

عنه خرج إلى المسجد النبوي وحمد الله وأثنى عليه وقال للناس وعمر فيهم: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت، وقرأ قول الله عز وجل: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾**. **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَيَهُمْ مَيِّتُونَ﴾** عندئذ سقط السيف من يد عمر واستيقن أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد مات وقال: كأني لم أقرأ هذه الآيات. بل كأنها لم تنزل إلا الآن.

٢ - اختلافهم في دفنه عليه الصلاة والسلام: وبعد اختلافهم في موته عليه الصلاة والسلام اختلفوا في مسألة دفنه فمنهم من قال ندفنه مع الصحابة في البقيع، ومنهم من قال: بل ندفنه في

مسجده، حتى جاءهم أبو بكر رضي الله عنه وأخبرهم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يُقْبَضُونَ» وبهذا زال الخلاف، فدفن عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة رضي الله عنها تحت الفراش الذي توفي عليه فحضر قبره تحته<sup>(١)</sup>.

٣ - اختلافهم في تعيين الخليفة بعد رسول الله ﷺ:  
اختلف الصحابة فيمن تكون الخلافة أفي المهاجرين أم في الأنصار.

قال ابن إسحاق: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي ابن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر

---

(١) انظر: تحذير الساجد لشيخنا ناصر الدين الألباني.

وانحاز معهم أسيد بن حضير فيبني عبد الأشهل<sup>(١)</sup>.

هكذا كما يحكي هذا النص أن الأنصار اجتمعوا في سقيفةبني ساعدة فلما علم أبو بكر وعمر انطلقا إلى ذلك المكان. فقام خطيب من الأنصار وذكر مناقب الأنصار وأنهم أحق بالخلافة من المهاجرين، فلما انتهى أراد عمر أن يقوم ليتكلّم وقد تخير الكلام الذي سيطرّحه، إلا أن أبا بكر سبق في القيام فأثنى على الأنصار وذكر الكثير من مناقبهم ثم ذكر الحاضرين أن العرب في الجزيرة إن لم تكن الخلافة في قريش فلن يكون للإسلام هيبيته، ونفوذه خارج الجزيرة، وأشار على الأنصار أن تكون الخلافة في رجلين: إما عمر وإما أبو عبيدة. فقام رجل من الأنصار فقال: منا أمير ومنكم أمير، عندئذ كثُر لغط الحاضرين. فقال عمر: يا أبا بكر ابسط يدك فبسط

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٦٥٦).

يده فبایعه عمر ثم بایعه المهاجرون ثم بایعه الأنصار  
وكادوا أن يقتتلوا على مبایعته من شدة الزحام . وهكذا  
استطاع الصحابة رضي الله عنهم أن يخرجوا من هذه  
الفتنة العويصة والتي ليس فيها نص من القرآن ولا  
السنة وحسموا الخلاف دون أن يبقى في النفوس  
شيء من الغل أو الحقد .

## نماذج من أدب الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم

### ١ - عمر وابن مسعود:

اختلف هذان الصحابيان بمائة مسألة كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله<sup>(١)</sup>.

ومن جملة ما اختلفا فيه أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يرى تطبيق اليدين في الصلاة (أي يضمهما أثناء الركوع بين فخذيه) وينهى عن وضعهما على الركب، أما عمر فكان يفعل ذلك وينهى عن التطبيق، والحق في هذه المسألة مع عمر رضي الله عنه ومع ذلك الاختلاف الذي حصل بينهما في تلك المسائل الفقهية فلم يؤثر على حب أحدهما للأخر،

---

(١) إعلام الموقعين (٤١٨/٢).

فلقد جاء إلى ابن مسعود اثنان: أحدهما قرأ على عمر، والآخر قرأ على صحابي آخر، فيقول الذي قرأ على عمر: أقرأنيها عمر بن الخطاب، فيجهش ابن مسعود بالبكاء حتى ييل الحصى بدموعه ويقول: أقرأ كما أقرأك عمر فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه فلما أصيب عمر اثنل الحصن.

ويقبل ابن مسعود يوماً وعمر جالس فلما رأه مقبلًا قال: (كيف ملىء علماء؟)<sup>(١)</sup>.

هكذا كانت نظرة أحدهما للآخر، نظرة إجلال وتقدير وحب وودة رغم حصول الخلاف بينهما في تلك المسائل التي بلغت المائة. فهل نحن اليوم في اختلافنا نقتدي بهذين الصحابيين الجليلين أم نظل ننفر من كل من خالفنا ونرميه بالتهم الكاذبة.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل -ى السن.

## ٢ - عمار وعائشة :

نال رجل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحضور عمار بن ياسر رضي الله عنه والذى كان على غير موقفها يوم الجمل فيقول رضي الله عنه لذلك الرجل : اسكت مقبوحاً منبوداً، أتؤذى محبوبة رسول الله ﷺ؟ أشهد أنها زوجته في الجنة، لقد سارت أمنا رضي الله عنها مسيرها وإنما لنعلم أنها زوجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الدنيا والأخرة ولكن الله ابتلانا بها، إياه نطيط أو إياها) <sup>(١)</sup> .

فانظروا إلى هذا الأدب العظيم.

## ٣ - عمار وعمر :

وهكذا قضية عمار بن ياسر وعمر بن الخطاب لما أجبنا في الطريق - ولا ماء فتمرغ في التراب كتمرغ الدابة ثم صليا فلما وصلا إلى رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه البيهقي في سنته.

عليه وعلى آله وسلم علمهما كيفية التيم وهي ضربة واحدة للوجه والكفين، ثم إن عمر نسي هذا، فكان عمار يفتى بعد ذلك على حسب السنة في التيم وهذا في خلافة عمر، وكان عمر لا يرى ذلك، فذكره عمار بالحادثة فلم يستذكر، فقال عمار: يا أمير المؤمنين إن شئت أن لا أفتى بهذه القضية فعلت. فقال عمر: لا ولكن نُولِّكَ ما توليت. ولم يعنف عليه ولم ينكر عليه وإنما وكله إلى ما عنده من العلم.

## من أدب الخلاف في الفتنة

أخرج البيهقي في سنته (١٧٣/٨):

أن عمران بن طلحة بن عبيد الله دخل على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بعدما فرغ من موقعة الجمل وكانت هذه المعركة بين علي وطلحة بن عبيد الله والد عمران، فيرحب علي بعمران ويدنيه ويقول: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال فيهم عز وجل: ﴿ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرِ مُنْقَبَلِينَ ﴾ ثم أخذ يسأله عن أهل بيت طلحة فرداً فرداً وعن غلمانه وأمهات أولاده. يا ابن أخي كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ ويستغرب بعض الحاضرين من لم يحظوا بشرف صحبة رسول الله ﷺ، ولم يدركوا ماذا يعني أن يكون

الإنسان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيقول رجلان جالسان على ناحية البساط: الله أعدل من ذلك، تقتلهم بالأمس وتكونون إخواناً في الجنة؟. فيغضب علي رضي الله عنه ويقول للقائلين: (قُوماً إلى أبعد أرض الله وأسحقها، فمن هو إذا؟ إن لم أكن أنا وطلحة فمن إذا؟) ويسأله بعضهم علياً عن (أهل الجمل) أمشركون هم؟ فيقول: من الشرك فروا قال: أمنافقون هم؟ فيقول: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً فيقال: فمن هم إذن؟ فيقول: إخواننا بغوا علينا).

## من أدب الخلاف بين الأئمة

### ١ - أبو حنيفة ومالك:

من نظر في مذهب هذين الإمامين عرف أن الخلاف بينهما كثير، حيث تباين الأسس التي يعتمدها كل منهما في المذهب، ولكن مع هذا نجد أن كلاً منهما يجل صاحبه ويثنى عليه. فقد أخرج القاضي عياض في (المدارك) قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكاً في المدينة فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت من أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصرى قال الليث: ثم لقيت أبي حنيفة وقلت له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام...<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الانتقاء لابن عبد البر.

## ٢ — محمد بن الحسن (صاحب أبي حنيفة) والإمام الشافعي :

يقول الإمام الشافعي رحمه الله : ذاكرت محمد بن الحسن يوماً فدار بيني وبينه كلام واختلف حتى جعلت أنظر إلى أوداجه تدر وتقطع أزراره<sup>(١)</sup> .

ويقول محمد بن الحسن رحمه الله : إن كان أحد يخالفنا فيثبت خلافه علينا فالشافعي فقيل له : فلم ؟ قال : لبيانه وتبنته في السؤال والجواب والاستماع<sup>(٢)</sup> .

## ٣ — مالك وابن عيينة :

يقول الإمام الشافعي رحمه الله (ومالك وابن عيينة القرینان ولو لا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز<sup>(٣)</sup> ) وروى أن ابن عيينة ذكر مرة حديثاً فقيل

---

(١) الانتقاء.

(٢) الانتقاء.

(٣) انظر : ترجمة الإمامين من سير أعلام النبلاء للذهبي .

له: إن مالكاً يخالفك في هذا الحديث فقال للسائل:  
أقرني بمالك؟ ما أنا ومالك إلا كما قال جرير:  
وابن الليون إذا ما لز في قرن  
لم يستطع صولة البزل القناعيس

ويقول: (كان لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً،  
ولا يحمل الحديث إلا عن ثقة الناس، وما أرى  
المدينة إلا ستخرب بعد موت مالك بن أنس) <sup>(١)</sup>.

#### ٤ - مالك والشافعي:

كان الشافعي تلميذاً عند الإمام مالك، ولم يكن  
قد تصدى للإفتاء. فسأل رجل الإمام مالكاً عن  
اشترى قميأً بشرط أن يصبح أبداً فإذا هو يصبح في  
بعض اليوم فقال: له الرد (أي للمشتري أن يرد  
القمري للبائع) فخرج السائل والشافعي ابن خمس  
عشرة سنة فقال له الشافعي: أبصيغ أكثر اليوم أو

---

(١) الانتقاء.

يسكت أكثر اليوم؟ فقال: بل يصبح أكثر اليوم.  
قال: ليس له الرد عليك. فدخل السائل على الإمام  
مالك وقال: انظر في أمري فقال: ليس لك عندي إلا  
ما أنبأتك به. فقال: إن بالباب من أصحابك من  
يقول: إنه لا يرد علي فقال: علي به، فاحضر  
الشافعي رحمه الله فقال: أنت تقول إنه ليس له الرد  
قال: نعم، سمعتكم تحدث - وذكر الإسناد - أن النبي  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لفاطمة القرشية:  
«أَبُو جَهْنٍ لَا يَضْعُ العَصَمَ عَنْ عَاتِقِهِ وَمَعَاوِيَةَ صُعْلُوكَ  
لَا مَالَ لَهُ وَلَنِكِنْ أَنْكَحَيِ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ». فقال:  
وأيُّش في ما يدل على ما قلت؟.

قال: إنه لا يضع عصاه عن عاتقه أَيْ كانَ كثِير  
السفر، ويقيِّم فيما بين ذلك، إِلَّا أَنَّ الغالب عليه كثرة  
الضرب في الأرض، فعبرنا بالغالب عن جميع أحواله  
توسعاً، ولغة العرب كذلك فقلت: إِذَا كانَ صياحه  
أَكْثَرَ النَّهَارِ لَا يَرِدُ لَأَنَّهُ يَعْبُرُ بِهِ عَنْ جَمِيعِهِ. فقال له

مسلم بن خالد الزنجي (وهو شيخه) : افتِ فقد آن  
لَكَ أَنْ تُفْتَنِي . فَمَا أَنْفَ مالِكَ رَحْمَةُ اللهِ أَنْ يَرْدَ عَلَى  
هَذَا التَّلَمِيذِ مَسَأْلَتِهِ أَوْ أَنْ يَعْنِفَهُ وَإِنَّمَا سَكَتَ كَالْمُقْرَرُ  
لَهُ . فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى الْجَمِيعِ .

## معالم أدب الاختلاف في عصر الأئمة

بالرغم من حصول كثير من الاختلاف بين الأئمة أنفسهم إلا أن ذلك الاختلاف لم يعكر صفو المودة والإخاء، بل كان كل منهم يبني على صاحبه ويحترم اجتهاده ويتهم رأيه، كما ينقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب). وسأذكر هنا هنا أبرز معالم الاختلاف في عصرهم رحمهم الله:

- ١ - تقواهم الله عز وجل وبعدهم عن الهوى والرغبة في الشقاق.
- ٢ - بذل ما في الوسع لإصابة الحق والوصول إليه.
- ٣ - إجراء الخلاف على القواعد العلمية.

- ٤ - إجراء الحوار في جو من المحبة والود.  
وإصغاء كل منهما لصاحبه وترقب ظهور الحق ولو  
على لسان المخالف.
- ٥ - التأدب بآداب الاختلاف الذي حصل لمن  
كان قبلهم.
- ٦ - الاحتكام إلى الله ورسوله وقبول الحكم  
والاستسلام له بعد ظهوره.
- ٧ - الشناء على المخالف واتهام ما يحمله هو من  
الرأي.
- ٨ - تصويب المصيبة والاستغفار للمخطيء مع  
التنبيه على ذلك.

## نصائح

وفي الختام أنصح إخواني طلبة العلم بأن يجدوا ويجتهدوا في طلب العلم الشرعي ، والذي بدوره سيوصلهم إلى الحق بإذن الله عز وجل . كما أنصحهم بعدم إضاعة الوقت في الجدال العقيم الذي لا يثمر . وأنصحهم بالابتعاد عن المرأة فإنه يوصل المتجادلين إلى أن يحقد كل منهم على أخيه وإلى دفع الحق والعياذ بالله .

وفي الحديث الصحيح : «أَنَّا زَعَمْ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَلَوْ كَانَ مُحِقًا» ، ويقول أيضاً : «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَىٰ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» .

عن الحسن البصري قال : ما رأينا فقيهاً يماري .  
ومن مسلم بن يسار قال : إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يتغى الشيطان زلته .

وقال محمد بن الحسين: وعند الحكماء أن  
المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ويورث التفرقة بعد  
الألفة والوحشة بعد الأنس.

### نبهات:

إذا كانت المسألة فيها للاجتهاد مساغ فلا ينكر  
على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً وإليك بعض أقوال  
أهل العلم في المسألة:

يقول سفيان الثوري رحمه الله: (إذا رأيت الرجل  
يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا  
تنبه) ويقول أيضاً: (ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى  
أحداً من إخواني أن يأخذ به) وقال الإمام النووي:  
ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعرض على من خالفه  
إذا لم يخالف نصاً ولا إجماعاً أو قياساً جلياً.

وقال يحيى بن سعيد: ما برح أولوا الفتوى يُفتونَ  
سيحل هذا ويحرم هذا فلا يرى المحرم أن المحل  
هلك لتحليله ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه.

## آداب ينبغي مراعاتها عند حدوث الاختلاف

### ١ - الإخلاص وقصد الحق :

عند البحث والنظر في كتب أهل العلم من المتقدمين والمتاخرين يجب أن يكون المقصود من ذلك هو الوصول إلى الحق، ولهذا فعلى طالب العلم أن يتجرد لذلك كل التجرد. وهذا المطلب من الناحية النظرية أمر سهل، لكنه عند التطبيق يكون صعب المنال، فكم من الناس من يدعي أنه يدعو إلى الحق (من الناحية النظرية) لكن عند التطبيق نجد أنه يدعو إلى نفسه ويتصدر لشخصه أو لشيخه أو لمذهبه أو جماعته أو حزبه، ولعل هذا الذي يحصل من بعض طلبة العلم أثناء النقاش من التجريح الشديد للأشخاص والهيئات فيفضل ويفسق ويصفه،

وكتيجة حتمية سيقود هذا الغلو صاحبه إلى الانتصار للنفس.

٢ - تحاشي وقوع الخلاف قدر الإمكان:  
وذلك بعدة أمور منها:

أ - حسن الظن بالمخالف وتغليب جانب الأخوة  
في الله على كل اعتبار.

ب - حمل كلام المخالف المحمل الحسن.

ج - إذا صدر ما لا يمكن حمله المحمل الحسن  
فيعتذر عنه، ولا يعدم قاصد الحق أن يجد عذرًا  
لصاحب، وهذا ليس دعوة إلى تغطية الحق، بل  
الخطأ وارد ويمكن التنبيه عليه بآلين عبارة.

د - رحابة الصدر عندما يصل إليك الانتقاد من  
إخوانك.

هـ - الالتزام بآداب الإسلام وذلك في انتقاء  
أطاب الكلام وتجنب الكلام الأذعن الجارح.

و- رد الأمر المختلف فيه إلى الكتاب والسنة  
وقبول حكمهما بعد استبانته.

ز- الرجوع إلى أهل العلم ومسائلتهم عند تuder  
استخراج الحكم من الكتاب والسنة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة  
المسلمين، وأن يوحد صفوفهم على كتابه وسنة  
رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلى منهج  
السلف الصالح، إنه سميع مجيب، وأخر دعوانا أن  
الحمد لله رب العالمين.

وفي الختام أتقدم بشكري الجزيل للأخ/  
علوي بن محمد بن علي العزي حيث قام بتبييض  
هذه الرسالة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت  
أستغفرك وأتوب إليك

أبو عبد الرحمن عقيل المقطري  
تعز - اليمن

# الفَهْرُسُ

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة .....
٩	أدب الاختلاف .....
١٦	التحذير من الاختلاف .....
٢٥	أدب الاختلاف في عصر النبوة .....
٢٨	أدب الاختلاف في زمن الصحابة .....
٣٣	نماذج من أدب الاختلاف بين الصحابة .....
٣٧	من أدب الخلاف في الفتنة .....
٣٩	من أدب الخلاف بين الأئمة .....
٤٤	معالم أدب الاختلاف في عصر الأئمة .....
٤٦	نصائح وتنبيهات .....
٤٨	آداب ينبغي مراعاتها عند حدوث الاختلاف .....